﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النّساء: 68]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكر تعالى ما وعدَهم بعد الخير والتَّثبيت من إيتائهم الأجر العظيم؛ جاءت هذه الآيةُ الكريمة استكمالًا لعظيم الأجر، بإظهار مزيد النِّعمة، ومديد المنَّة، وسابغ الفضل بالهداية إلى الطَّريق المستقيم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: الهاءُ والدَّالُ والحرفُ المعتلُّ: أَصلان، أَحدُهما: التَّقدُّمُ للإرشاد، ومنه قولُهُم: هَدَيتُهُ الطَّريقَ هِدايَةً، أَي: تَقَدَّمتُه لأُرشِدَه[2]، فالهدى: نقيضُ الضَّلالة[3]، وهو: الرَّشادُ والدَّلالةُ، يؤنَّث، ويذكَّر، وهَدَيتُه الطَّريق والبيت هِدايَةً، أي: عرَّفته، وهدى واهتدى بمعنًى[4]، "والجمهور الأعظم ممَّا في القرآن مِنَ التَّركيب هو بمعنى: التَّوجيه إلى سبيل الرُّشد خاصَّة، سواء ذُكِر المهدِيُّ إليه أم لم يذكر"[5].

2) ﴿صِرَٰطًا﴾: الصَّادُ والرَّاءُ والطَّاء: هو مِن باب الإبدال؛ لأنَّ أصله بالسِّين من"سَرَطَ"[6]، فالسِّرَاطُ: لغةٌ في الصِّراط[7]، ومعناه: المنهاج الواضح[8]، والطَّريق المستقيم، والمُستَسهل[9]، والسَّبيل الواضح[10]، فالسَّبيل الواضح يمرُّ سالِكُه فيه مرورًا سهلًا سريعًا بلا عقبات تُرَيِّثُه، وليس في القرآن من هذا التَّركيب إلَّا كلمة (سِراط)، وقد رُسِمَت في المصحف بالصَّاد، وأصلها اللُّغويُّ بالسِّين[11].

(1) الخازن، لباب التَّأويل: 1/397.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (هدي).
(3) الخليل، العين: (هدي).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (هدى).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصّل: (هدى).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صرط).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (سرط).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سرط).
(9) الرّاغب، المفردات: (صرط)، (سرط).
(10) ابن سيده، المحكم: (سرط).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصّل: (سرط).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

من مديد العطايا والهبات الهداية إلى الطَّريق المستقيم

يخبرُ اللّٰه تعالى بالثَّمرة الرابعةِ لمن أجاب داعيَ الحقِّ، وقام بالأوامر على مأْتاها الأكمل، وتجنَّب النَّواهي على وجهها الأمثل؛ إذ يوفِّقه اللّٰه تعالى إلى طريقه المستقيم الَّذي لا اعوجاج فيه، ليصل بذلك إلى القرب منَ اللّٰه تعالى، فإنَّ الَّذي يتقرَّب إلى اللّٰه تعالى بالطَّاعات يصل إلى إدراكِ حقائق العبوديَّة، وهذه الثَّمرةُ عمومٌ بعد خصوص؛ لشرف الهداية إلى الصِّراط المستقيم، من كونها متضمِّنةً للعلم بالحقِّ، ومحبَّته وإيثاره والعملِ به، وتوقُّف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هُدِيَ إلى صراط مستقيم؛ فقد وُفِّقَ لكلِّ خير واندفع عنه كلُّ شرٍّ وضَيْرٍ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الوصل بالعطف:

في الوصلِ إتمامٌ للنِّعمة، واستكمالٌ للفضل

وجهُ عطف الهداية على ما قبله إتمامٌ لعظيم الأجر، وكمال الفضل الإلهيِّ في الهبات والعطايا؛ إذ أعقب تمام الأجر بأشرف طريق، هو الطَّريق المستقيم.

سِرُّ تنكير الصِّراط:

إفادةُ استغراقِ عموم معناه دينًا حقًّا، وطريقًا إلى الجنَّة والأعمال الصَّالحة

في تنكير "الصِّراط" إشارةٌ إلى أنَّه غير محدَّد بحدود، ففُسِّر الصِّراط: بأنَّه الإيمان المؤدِّي إلى الجنَّة[2]، وهو الدِّين الحقُّ، أو هو الطَّريق من عَرَصَة القيامة إلى الجنَّة[3]، أو هو الطَّريق إلى الجنَّة، أو الأعمال الصَّالحة[4]، أو هو مَوطِن من مَواطِن القيامة، أو هو طريق العمل الصَّالح على الوجه الصَّحيح، أو هو نفسه الصِّراط المذكور

(1) السعديّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 89، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1749.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/75.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/131 - 132.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/299.

في سورة الفاتحة[1]، أو المعنى: لفتحنا لهم طرق العلم والهداية، ولا شكَّ أنَّ الطَّاعة مفتاح المعارف بعد تعاطي أسبابها[2].

علَّةُ تأخير الهداية على استحصال الأجر:

تعديدُ نِعَمِ الله عليهم دون ترتيب، ولكونها عمومًا بعد خصوص

جاء ترتيبُ هذه الآية على هذا النَّظم، مع أنَّ الهداية تسبقُ إعطاء الأجر؛ لأنَّ المقصد إنَّما هو تعداد ما كان الله ينعم به عليهم دون ترتيب، فالمعنى: ولهديناهم قبلُ حتَّى يكونوا ممَّن يُؤتى الأجر[3]، وكذلك هذا التَّأخير لهذه الثَّمرة؛ لكونها عمومًا بعد خصوص، ولشرف الهداية إلى الصِّراط المستقيم، من كونها متضمِّنةً للعلم بالحقِّ، ومحبَّتِه وإيثاره والعملِ به، وتوقُّف السَّعادة والفلاح على ذلك[4].

يُحمل على التَّرتيب إذا فسِّرَت الهداية بهداية التَّوفيق والإلهام

إذا فُسِّرتِ الهداية إلى الصِّراط هنا: بأنَّه طريق الجنَّة، أو الأعمال الصَّالحة؛ فإنَّه يظهر التَّرتيب[5]؛ لكونهما من متمِّمات الأجر، ومكمِّلات النِّعمة.

فالصِّراط - الَّذي هو الطَّريق من عرصة القيامة إلى الجنَّة - إنَّما يحتاج إليه بعد استحقاق الأجر، فكان حمل لفظ الصِّراط في هذا المَوضِع على هذا المعنى أولى[6]؛ لأنَّ الأجر العظيم هو المؤدِّي إلى الجنَّة[7]، ولأنَّه مذكور بعد استحقاق الأجر[8].

وجه المقابلة بين فِعْلي الإيتاء والهداية:

الإيتاء الإعطاء، والهدايةُ إرشادٌ بلطف

الإيتاء: الإعطاء، والهداية: دلالةٌ بلطف، وهي الإرشاد إلى الخيرات قولًا وفعلًا[9]. وكلُّ موضع ذكره الله بـ﴿لَّأَتَيْنَاهُم﴾ فهو

(1) رضا، تفسير المنار: 5/197.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/115.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/75.
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 89.
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/299.
(6) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/131 - 132.
(7) الخازن، لباب التَّأويل: 1/397.
(8) النِّيسابوريّ، غرائب القرآن: 2/441.
(9) الرَّاغب، تفسير الرَّاغب: 1/60.

أبلغ من كلِّ موضع ذكر فيه ﴿أُوتُواْ﴾ [النساء: 44]؛ لأنَّ ﴿أُوتُواْ﴾ [النساء: 44] قد يقال؛ إذا أُوتي مَن لم يكن منه قَبول، و﴿لَّآتَيۡنَٰهُم﴾ يقال فيمَن كان منه قَبول[1]، ومن مِنَنِهِ ﷻ منحُ الهباتِ بلطفٍ، وإنزال العطايا بيُسْرٍ، فذلكم أرقُّ للقلوب، وأسكنُ للنُّفوس.

بلاغة الاستعارة في لفظ (الصِّراط):

وجه الاستعارة تصوِّرُ أنَّ الصِّراط طريقٌ يبتلعُه سالكُه، أو يبتلعُ هو سالكَه

أصل لفظ الصِّراط من: سرطتُ الطَّعام، وزردْتُه؛ إذا ابتلعتُه؛ لِأَنَّهُ إِذَا سُرِطَ غَابَ، وَالسِّرَاطُ مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الذَّاهِبَ فِيهِ يَغِيبُ غَيْبَةَ الطَّعَامِ الْمُسْتَرَطِ[2]، وسُمِّي الطَّريق بذلك تصوُّرًا أنَّه: إمَّا أن يبتلعَه سالكُه، وإمَّا يبتلعُ هو سالكَه، فقد قِيلَ: فلان أكلتْهُ المفازةُ؛ إذا أضمرَته، أو أهلَكَته[3]، فشبَّهَ المنهج القويم بالطَّريق، وحذف المُشبَّه على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

وجه الاستعارة تضمَّن معنى الحقِّ الموصل إلى رضا الله تعالى

ولفظُ "الصِّراط" مُستعارٌ لمعنى: الحقِّ الَّذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضاء الله؛ لأنَّ ذلك الفوز هو الَّذي جاء الإسلام بطلبه[4]، فرضوانُ الله أسمى المطالب وأعلاها.

براعة وصف الصِّراط بالمستقيم:

الطَّريق المستقيم هو أقصر الطُّرق للوصول إلى الغاية

لفظُ (المستقيم): اسم فاعل من استقام، مطاوعُ قوَّمْتُه فاستقام، والمستقيم: الَّذي لا عِوَج فيه ولا تعاريج، وأحسن الطُّرق الَّتي تكون مستقيمةً هي الجادَّة؛ لأنَّ الطَّريق المستقيم باستقامته ووضوحه يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره، فلا يضلُّ فيه سالكُه، ولا يزيغُ، ولا يتردَّد، ولا يتحيَّر، ولا يتخبَّط[5].

لفظ (المستقيم) هنا مستعارٌ للحقِّ البيِّن الَّذي لا يخالطُه

(1) الرَّاغب، المفردات: (أتى).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سرط).
(3) الرَّاغب، تفسير الرَّاغب: 1/63.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/190.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/191.

شُبْهة باطلٍ، أو تشويش زيغٍ، فهو كالطَّريق الواضح الَّذي لا تتخلَّله بنايات[1].

فـــي لـفـظ الاستقامة وجه استعارة للحقِّ البـيِّن الَّـذي لا يخالطُه شُبهة باطل

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الصِّراط، والطَّريق، والسَّبيل:

الفرق بين هذه الألفاظ: أنَّ "الصِّراط هو الطَّريقُ السَّهل، قال الشَّاعر[2]:

الـصِّـراط هو الطَّريق السَّهل، والـطَّـريـق لا يَقتضي السَّهولة

حشونا أَرضهم بِالخَيلِ حتَّى *** تركناهم أذلَّ مِنَ الصِّراط

وهو مِنَ الذُّلِّ خلاف الصُّعوبة، وليس منَ الذُّلِّ خلاف العزِّ، والطَّريق لا يقتضي السُّهولة، والسَّبيل: اسم يقع على ما يقع عليه الطَّريق، وعلى ما لا يقع عليه الطَّريق، تقول: سبيل اللّه وطريق اللّه، وتقول: سبيلك أَن تفعل كذا، ولا تقول طريقك أَن تفعل كذا، ويُرَاد به سبيل ما يَقصِدهُ، فيضاف إِلى القاصد، ويُراد به القَصد، وهو كالمحبَّة في بابه، والطَّريق كالإرادة"[3].

واستقامة الصِّراط قرينة اليسر؛ إذ باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره، فلا يضلُّ فيه سالكُه، ولا يتردَّد ولا يتحيَّر، وكذلك هي الهداية وضوحًا، ويسرًا، وبيانًا، ومن هنا اختير – في السِّياق القرآنيِّ – لفظ "الصِّراط"؛ ليناسب مَطلَع الآية الكريمة وختامها.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/191.

(2) نسب ابن جرير في جامع البيان: 1/128، هذا البيت إلى أبي ذؤيب، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/147 إلى عامر بن الطفيل، والسيوطي، الإتقان: 1/155 إلى عبيد بن الأبرص، ولم نقف عليه في دواوينهم، ويروى مطلع الصَّدر بالآتي: (وطِئنا، شحنَّا، حشونا).

(3) العسكريّ، الفروق اللّغويَّة، ص: 298.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»